

بسم الله الرحمن الرحيم

الأخوات والأخوة عائلات أبطال نفق الحرية،

الأخ قدورة فارس رئيس هيئة شؤون الأسرى والمحررين... والأخوات والأخوة في الهيئة ونادي الأسير،

الأخ والصديق رفيق القيد والزنزاة المناضل كريم يونس

الأخوة الأسرى المحررون،

الأخ الدكتور عبد الرحيم الشيخ،

الحضور الكريم كلٌ باسمه ولقبه،

تحية فلسطينية،

اسمحوا لي بدايةً أن أتوجّه بالتحية لشعبنا العظيم ولشهداءنا الأبطال وللأسرى الأحرار وأخصّ بالذكر أبطال نفق الحرية في العزل الانفرادي.

الأخوات والأخوة، نلتقي اليوم لإحياء الذكرى الثانية لنفق الحرية الذي صنعه أبطاله الستة، وسطّروا صفحة جديدة في سفر ملحمة الصمود والبقاء والمقاومة التي سطرّها شعبنا العظيم طوال أكثر من مائة عام من النضال والكفاح والمقاومة، هذه العملية التي أبهجت العالم بأسره وأثارت إعجاب واحترام وتقدير الفلسطينيين والعرب والأحرار في كل أنحاء العالم، وشكّلت صدمة للاستعمار الصهيوني، وأعادت الاعتبار لقضية الأسرى وحرّيتهم، وعبّرت عن إرادة غالبية الأسرى الذين لم تكسرهم سنوات المعاناة والعذابات الطويلة، وعبّرت عن إرادة وصلابة مذهلة لهذه الفئة القليلة المؤمنة من الأسرى التي لم تستسلم لشروط وقيود وضوابط السلطات الاستعمارية، ولم يطالها صهر الوعي وسياسة الإغراء والإغواء، فكانت عزميتها وإرادتها وشجاعته وروحها أقوى من منظومة السيطرة والتحكّم والضبط الاستعمارية؛ فالسجون وقامتها أعلى من الأسوار والأسلاك الشائكة، وتمكّنت من خلال ثورية النفس الطويل، وسياسة الصبر والمثابرة من حفر

أسمائها في قلوبنا جميعاً وفي سجّل التاريخ، وفي تشييد مدرسة الأحرار الأحرار الذين لم تجرفهم عواصف اليأس والإحباط والاستسلام، مستمدّين عزيمة وإرادتهم من شعب الأحرار شعب فلسطين العظيم الذي استأنف انتفاضته مجدداً منذ العام 2015 في إطار أسلوب وأداء جديد وعلى طريقة الأمواج موجة وراء موجة.

والحقيقة أن نفق الحرية ذكرني بحديث صحفي غربي جرى معي في مطلع العالم 2002، حيث سألتني كيف يستطيع المقاتلون الفلسطينيون الاجتياز والتحرّك وتنفيذ عمليات فدائية في ظلّ هذا الكمّ الهائل من الحواجز العسكرية التي مررت بها في عرض الأراضي الفلسطينية وطولها وتنتشر بالمئات إضافة إلى الكاميرات والطائرات المسيّرة وأجهزة التنصّت؟ فأجبته "إن الأرض لا تمنح سرّها إلا لأصحابها الأصليين، ولا يستطيع المستعمرين الغرباء كشف هذا السرّ أبداً"، وهكذا مجدداً، منحت أرض فلسطين الطاهرة سرّها للأبطال الستة وتحت أعين وكاميرات السلطات الاستعمارية، وتمكّنوا من تحقيق المستحيل. وفي هذا اليوم، أتوجّه لأخوة القيد والزنازة الستة الأبطال في زنازين العزل الانفرادي منذ سنتان بالتحية والتقدير وكل مشاعر التضامن الاخوي، وأحييهم وأشدّ على أياديهم، مؤكّداً لهم أنه من غير المقبول أبداً استمرار التقصير من قبل الحركة الأسيرة في التضامن معهم وإنهاء عزلهم، آملاً أن تشهد الفترة المقبلة تحرّكاً جاداً من الأسرى لإنهاء هذا العزل الوحشي.

الأخوات والأخوة، تأتي هذه الذكرى في ظلّ تصعيد الحكومة الاستعمارية الفاشية سياستها بتهميش وعزل القضية الفلسطينية تمهيداً لتصفيتها، من خلال إغراق الضفة الغربية والقدس بمئات آلاف المستعمرين، وتكريس سياسة الضمّ الزاحف تقويضاً لإمكانية قيام دولة فلسطينية مستقلة مستغلة اضطراب وانشغال النظام الدولي في طور إعادة التشكّل وأزماته وحالة الاستقطاب والانحياز الأمريكي المطلق، كما حالة النظام العربي العاجز، والانقسام الفلسطيني الكارثي وتآكل النظام السياسي الفلسطيني وعجزه. إن مواجهة جملة التحديات الراهنة وفي مقدّمتها التحدي الاستعماري وتحدي الخروج من المأزق الخطير والمصيري للقضية الفلسطينية يتطلّب ترتيب البيت الفلسطيني الداخلي من خلال مؤتمر وطني للحوار الشامل، وتحديد جدول

زمني لإجراء الانتخابات الرئاسية والتشريعية وعضوية المجلس الوطني فوراً، وإعادة بناء وتطوير منظمة التحرير وضم حركتي حماس والجهاد لصفوفها حتى تكون قادرة على تجسيد وحدة التمثيل الفلسطيني، وإعادة الاعتبار لخطاب وسلوك التحرّر الوطني، وإعادة النظر في وظائف السلطة الفلسطينية بما يخدم مرحلة التحرّر الوطني، كما تستدعي الضرورة تشكيل حكومة وحدة وطنية وطي صفحة الانقسام السوداء وإنجاز المصالحة الوطنية لتحقيق الوحدة بوصفها قانون الانتصار، وتكريس مبدأ الشراكة الوطنية تطبيقاً لمبدأ أطلقناه مع اندلاع الانتفاضة الثانية المجيدة "شركاء في الدم شركاء في القرار"، إلى جانب احترام الحريات العامة والشخصية وحقوق الإنسان وحقوق المرأة، ومكافحة كل أشكال العنف الجسدي واللفظي والمعنوي ضد المرأة واحترام حقوقها في الميراث وحقوقها السياسية والاقتصادية والاجتماعية. وقد حان الوقت لإطلاق وتأسيس المؤتمر الفلسطيني العالمي تجسيداً لحماية تمثيل الإرادة الوطنية لـ 15 مليون فلسطيني/ة، والذي يتمثل فيه كل تجمعات الفلسطينيين في فلسطين والعالم، ويُشكّل سنداً قوياً لمنظمة التحرير ولبدأ وحدة الشعب ووحدة الأرض ووحدة القضية ووحدة التمثيل، وهو إطار وطني جامع وشامل لكل الفلسطيني وهو ليس بديلاً لأحد ولا يُقصي أحد؛ وإنما يستهدف حشد وتأطير طاقات الـ 15 مليون فلسطيني/ة في العالم ليصبّوا في نهر الحرية والتحرّر والتحرير والعودة والكرامة والاستقلال. كما يتوجّب تبني مبدأ المقاومة الشاملة بركائزها الأربع لمواجهة المشروع الاستعماري الصهيوني الشامل.

الأخوات والأخوة، تعلمون جيداً أن حالة الانقسام الفلسطيني ألقت بظلالها السوداء على مجمل حياة الفلسطينيين وألحقت ضرراً فادحاً بصورتهم لذاتهم وفي نظر الآخرين في العالم، كما أثّرت على بنية ووحدة المؤسسات الفلسطينية، ومزّقت وحدة الفلسطينيين بما في ذلك وحدة الأسرى، حيث توزّع ولأول مرة في تاريخ الحركة الوطنية الأسيرة أسرى فصائل محدّدة في سجون وأقسام خاصة بعد أن كانت تجمعهم وحدة التمثيل الاعتقالي والشراكة في الآلام والأحلام. ومنذ العام 2007، عام الانقسام، انفصل أسرى حماس وفتح في أقسام وسجون منفصلة وتمثيل منفصل وكان الاستثناء الوحيد الذي بقي موحدًا هو سجن هداريم للعزل الجماعي حيث تواجدت فيه منذ

اعتقالي عام 2002 باستثناء سنوات العزل الانفرادي، وقد بذلتُ جهدًا كبيرًا للحفاظ على الحياة المشتركة في هذا القسم وبمشاركة كل الأخوة من كافة الفصائل، ورغم كل العقبات والمعوقات والأزمات، فقد تغلبنا عليها بإرادة مشتركة وتصميم حازم. وفي هذا السجن ولدت وثيقة الأسرى للوفاق الوطني التاريخية كأول وثيقة سياسية وبرنامج وطني شامل في تاريخ الحركة الوطنية الفلسطينية في العقود الأربعة الأخيرة على الأقل، والتي حدّدت الأطر والوسائل والأدوات، وحظيت بإجماع شعبي ووطني وسياسي وفصائلي غير مسبوق، ووقعت عليها كافة الفصائل والقوى الفلسطينية دون استثناء وفي مقدمتها حركتي فتح وحماس في 27.06.2006، هذه الوثيقة التي كان لنا شرف المبادرة لها وصياغتها وتوقيعها إلى جانب ممثلي وقادة فتح وحماس والشعبية والجهاد والديمقراطية في سجن هداريم. وفي هذا السجن أيضًا، أطلقنا الثورة التعليمية الأولى في تاريخ الحركة الأسيرة الفلسطينية وأسّسنا منذ 13 عامًا ما أسماها الأستاذ الدكتور الأخ والصديق عبد الرحيم الشيخ أكاديمية التحرّر المعرفي كفرع لجامعة القدس العاصمة، التي تخرّج منها مئات الأسرى بدرجة البكالوريوس في العلوم السياسية والماجستير في الدراسات الإقليمية- مسار الدراسات الإسرائيلية بجودة عالية ومتميزة وحلقة أكاديمية فريدة من نوعها من حيث المستوى الأكاديمي والحوار والجدل والنقاش والأداء بمشاركة أسرى طلاب من مختلف الفصائل.

وفي أعقاب نفق الحرية تصدّى الأسرى على نحوٍ مشتركٍ وموحدٍ لمجمل السياسات والإجراءات التي اتخذتها السلطات الاستعمارية، مما شكّل بارقة أمل لاستعادة وحدة الحركة الأسيرة، غير أن المشوار ما زال طويلًا لتحقيق ذلك، والعقبات كبيرة على الصعيد الذاتي والموضوعي، وسيبقى أي شكل من تنسيق العمل المشترك أمر هام غير أنه سيظلّ هشًا وعاجزًا عن تحقيق الوحدة ما لم يتم إعادة دمج الأقسام بين أسرى فتح وأسرى حماس وإنهاء التمثيل المنفصل واستعادة التمثيل الموحد، وإنجاز لائحة وطنية تنظيمية جديدة وقيادة موحدة للحركة الأسيرة، وسنواصل جهدنا لتحقيق هذا الهدف سواء داخل السجون الاستعمارية أو على الصعيد الفلسطيني العام، وسيبقى المبدأ والشعار الذي يُشكّل بوصلتنا أن الوحدة الوطنية والمقاومة الشاملة والديمقراطية طريقنا للنصر والحرية، ونُجدد تحيتنا لأخوة القيد والزنازة جميعًا ونخصّ بالذكر أبطال نفق

فجر الحرية محمود العارضة ومحمد العارضة ويعقوب قادري وأيهم كممجي ومناضل نفيعات والأخ والصديق القائد المناضل زكريا الزبيدي.

وبهذه المناسبة أتوجه بتحية خاصة للأخ والصديق الحبيب أستاذنا الدكتور والمفكر والمثقف الثوري عبد الرحيم الشيخ على تضامنه واهتمامه وانشغاله الدائم بالقضية الوطنية، وإنتاجه النوعي والفريد في صكّ مفاهيم جديدة وفتح حقول دراسية غير مسبوقة، وإغناءه للثقافة الفلسطينية الثورية، شاكرًا له تحمّله وسعة صدره لمزاج الأسرى وإحاحهم وإثقالهم عليه وزيادة أعباءه، وأشكره شخصيًا على تضامنه ووقوفه الدائم إلى جانب الحملة الشعبية باعتباره أحد أعمدتها التي قادتها، وما زالت باقتدار وحكمة وشجاعة رفيقة درب الآلام والأحلام وشريكة العمر زوجتي وحبّيتي للأبد المحامية والمناضلة والقيادية الفلسطينية فدوى البرغوثي التي غدت رمزًا للمرأة الفلسطينية والعربية المناضلة وبحق.

أخوكم مروان البرغوثي

قسم العزل الجماعي في سجن عوفر- رام الله المحتلة